التحالفات والخيانات: صمود إيران ودروس أكراد العراق بلعبة الشرق الأوسط الكبرى

يشكل الشرق الأوسط منذ عقود خلية صراعية استراتيجية معقدة، حيث تتقاطع مصالح القوى الكبرى مع مطالب الشعوب المحلية، وتتشابك المصالح الاقتصادية والسياسية والدينية لتخلق ديناميات متغيرة باستمرار.

و في قلب هذا المشهد، تبرز إيران كقوة إقليمية صلبة، تمتلك القدرة على مواجهة التحديات العسكرية والاقتصادية بطريقة استثنائية، مستفيدة من عمقها الجغرافي ومواردها الطبيعية الكبيرة، بالإضافة إلى تحالفاتها الذكية في المنطقة، من لبنان واليمن إلى العراق وسوريا.

إن تجربة إيران تؤكد أن القوة لا تُقاس فقط بعدد الأسلحة أو حجم الاقتصاد، بل بالقدرة على الصمود، والتخطيط الاستراتيجي، وفرض تكاليف عالية على خصومها. وفي هذا الإطار، يظهر ملف السيطرة على مضيق هرمز كأداة استراتيجية مركزية تمكن إيران من التأثير في سوق الطاقة العالمي وإعادة التوازن في مواجهة الضغوط العسكرية والسياسية الدولية، خاصة من الولايات المتحدة وإسرائيل.

وعلى صعيد آخر، تعكس تجربة الأكراد هشاشة الاعتماد على القوى الكبرى في تحقيق المصالح الوطنية، وهو درس يظل حيًا في تقييم السياسات الأمريكية والإقليمية في الشرق الأوسط، سواء فيما يتعلق بالحرب على العراق أو الصراع الإيراني الأمريكي الحالي.

-الخلفية التاريخية وتحليل لقاء بارزاني

في مقابلة مفصلة أجراها مع صحيفة "دي فيلت" الألمانية عام 1975، تحدث ملا مصطفى بارزاني عن أبرز الأخطاء التي ارتكبها الأكراد خلال صراعاتهم ضد الأنظمة المركزية في العراق، مؤكّدًا أن الاعتماد المطلق على الدعم الأمريكي كان الخطأ الأكبر الذي كلف الحركة الكردية الكثير.

وأشار بارزاني إلى أن القوى الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة، كانت تتعامل مع القضايا الإقليمية وفق مصالحها الاقتصادية، خصوصًا النفط، دون أي التزام بالقيم الأخلاقية أو الوفاء بالوعود. وكما ألقى بارزاني الضوء على اتفاقية الجزائر بين العراق وإيران، التي أدت إلى خذلان الأكراد بعد توقيف الدعم العسكري والسياسي من الطرفين، مشددًا على أن هذا الحدث لم يكن مجرد فشل دبلوماسي، بل درسًا استراتيجياً في فهم هشاشة الاعتماد على الخارج دون بناء قوة وطنية متينة.

ووجّه القائد الكردي رسالة للأجيال القادمة بأن القوة الذاتية والاستقلالية الوطنية هما الضمان الحقيقي للبقاء، وأن أي التزام خارجي يجب أن يُقابَل بحذر وتقدير لمصالح الذات الوطنية.

أسلوب بارزاني في التحليل لم يكن مجرد سرد للأحداث، بل كان قراءة عميقة للمصالح الدولية، ووعيًا بمبدأ أن السياسة في الشرق الأوسط تُقاس بتقاطع المصالح وليس بالولاء، وهو درس يمكن تعميمه على التجارب الإقليمية المعاصرة، بما في ذلك الدور الأمريكي في النزاعات الأخيرة في سوريا والعراق واليمن.

-الصراع الإيراني الأمريكي والتحالفات الإقليمية

مع تصاعد التوترات بين الولايات المتحدة وإيران، يبرز تحدٍّ استراتيجي مركب يتجاوز مجرد التفوق العسكري، ليشمل العمق الجغرافي، القوة البشرية، الاستراتيجية الاقتصادية، والتحالفات الإقليمية.

إيران، بمساحتها الشاسعة وجبالها المهيبة (زاغروس وألبرز)، تمتلك قدرة استثنائية على الصمود أمام

أي غزو بري، كما أن امتلاكها القدرة على التحكم بمضيق هرمز يضعها في موقع استراتيجي يسمح لها بفرض تكاليف هائلة على أي تحرك أمريكي أو إسرائيلي.

استراتيجياً، تعتمد إيران على مزيج من القوة التقليدية وغير التقليدية، بما في ذلك الصواريخ الباليستية الدقيقة، الطائرات المسيّرة، الزوارق الهجومية الصغيرة، وأنظمة الحرب الإلكترونية، ما يجعل أي تصادم مباشر مع القوى الكبرى عملية مكلفة وغير مضمونة النتائج.

وهذا التكامل بين الجغرافيا والتكنولوجيا والقدرة البشرية يعكس صلابة إيران التي لا تُقهر بسهولة، ويجعل من أي حرب محتملة مع الولايات المتحدة اختباراً لتكلفة الحرب أكثر من كونها معركة سريعة للانتصار.

-دور حزب الله واليمن

عززت إيران نفوذها عبر وكلائها الإقليميين، بدءاً من حزب الله في لبنان، الذي أصبح قوة ردع حقيقية ضد إسرائيل، وصولاً إلى الجماعات المسلحة في اليمن التي تواجه التحالف العربي المدعوم أمريكياً.

هذه الاستراتيجية القائمة على الضغط المزدوج–مواجهة مباشرة في ساحات محددة، وفرض تكاليف سياسية واقتصادية من خلال وكلاء إقليميين–تعكس ذكاء التخطيط الإيراني، وتؤكد أن القوة الاستراتيجية لا تقاس فقط بالأسلحة، بل بكيفية استخدام النفوذ في مختلف المسارح.

-التحليل العسكري والتقني

على صعيد المعارك الحديثة، يظهر التوازن بين التفوق التكنولوجي الغربي، وخاصة الأمريكي والإسرائيلي، وبين القدرة الإيرانية على الصمود عبر أدوات الحرب غير التقليدية.

إسرائيل، على سبيل المثال، اعتمدت على منظومات دفاع جوي متعددة الطبقات، ولكن الهجمات السيبرانية الإيرانية وحزب الله أظهرت أن القوة التكنولوجية وحدها لا تكفي دون استراتيجيات تكاملية.
بالإضافة إلى ذلك، فإن أي حشد أمريكي واسع بما يشمل آلاف الجنود وفرق مشاة البحرية–يرتبط بتكلفة مالية وسياسية هائلة، ويزيد من تعقيد أي عملية عسكرية، مع تهديد مصداقية الولايات المتحدة في الداخل والخارج، وتعزيز النفوذ الروسي والصيني في المنطقة.

-التكلفة الاقتصادية والسياسية للحرب

تهدد الحرب الاقتصاد العالمي، إذ يؤدي أي اضطراب في مضيق هرمز إلى ارتفاع أسعار النفط والغاز الطبيعي، وتوقف سلاسل الإمداد الدولية.

كما تؤدي مثل هذه الصراعات إلى فقدان واشنطن لمصداقيتها الدولية، وتعميق الانقسامات الداخلية، وزيادة العزلة السياسية في المحافل العالمية.

وفي المقابل، تعزز إيران موقعها الاستراتيجي عبر استغلال النفوذ السياسي والاقتصادي، ما يجعلها لاعبًا رئيسيًا لا يمكن تجاهله في أي تسوية إقليمية مستقبلية.

وتظهر التجارب التاريخية والتحليلات المعاصرة أن الاعتماد على القوى الكبرى دون بناء قوة وطنية متينة، كما أكد ملا مصطفى بارزاني، يعرض الشعوب للخذلان والخسارة الاستراتيجية.

وكما يوضح الصراع الإيراني الأمريكي أن القوة الحقيقية لا تقاس فقط بالأسلحة، بل بالقدرة على الصمود، والسيطرة على مواقع استراتيجية حيوية، وبناء تحالفات ذكية تقلل من قدرة الأعداء على الحسم العسكري السريع.

إن فهم هذه الديناميات يشكل درسًا حاسمًا لأي قوة تسعى للنفوذ في الشرق الأوسط، حيث يلتقي النفوذ الاستراتيجي بالقوة الوطنية والصمود الجغرافي، ويصبح تصميم السياسات المستقبلية مرتبطًا بفهم أعمق للجغرافيا، والقدرات العسكرية، والتحالفات الإقليمية، والقدرة على إدارة التوازنات بين القوى الكبرى والصغرى على حد سواء.